وتستنكف عن سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالراي الخطا الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره
ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال فان كان امره في امر
دنيوي حقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه
واستظهر بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وثابر على سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق
فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات **بيان حقيقة العجب** والادلال
وحدهما اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره
حالتان احداهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب
والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته
الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا
به مطمئنا اليه ويكون فرحه من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى
ونعمة منه فيكون فرحه من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله
بانه منه فمتى غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبه عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب
هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على
نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى توقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا
يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة
وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن به عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات
واستبعد تخلفه عن قضاء حقه كان مدلا عليه قال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر
اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك
خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب
لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا
مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله
فانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو
من مقدمات الكبر واسبابه **بيان علاج العجب على الجملة** اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها

بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل
تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق فان العجب بها اغلب من العجب
بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى
والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه او من حيث انه منه
وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه يجري فيه ومن جهة
غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان
كان يعجب به من حيث هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته تم فينبغي ان يتامل في قدرته
وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك
نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله وفضله
اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فانه مهما برز الملك لغلمانه
فخلع على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وكرمه
وايثاره له من غير استحقاق فاعجابه بنفسه من اين هو وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه
نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك عدل حكيم لا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه علم مني صفة
باطنة محمودة لما اقتضى ايثاره بالخلعة لي فيقال وتلك الصفة هي ايضا من خلع الملك وعطيته
التي خصصك بها دون غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا
لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب
به وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال له وهو الذي
اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطيك احدهما بعد الآخر فا ذا
كان الكل منه فينبغي ان تعجب بجوده وفضله لا بنفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره
فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الله ملك الملوك
المتفرد باختراع الجميع المتفرد بايجاد الموصوف والصفة سبحانه وتعالى فان اعجبت
بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال لك ومن خلق الحب في قلبك فستقول
هو فيقال لك فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)